جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجـــلة العلميـــة

تحرير معاني توحيد الربوبية وبيان ما أقر به المشركون وما نازعوا فيه من خلال دراسة الآيات (٣١-٣٥) من سورة يونس

إعداد

د/ ليلى محمد الثبيتي

الأستاذ المساعد بجامعة الأمير سطام
كلية التربية بالخرج

(العدد الحادي والعشرون إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م)

تحرير معاني توحيد الربوبية وبيان ما أقر به المشركون وما نازعوا فيه من خلال دراسة الآيات (٣١-٣٥) من سورة يونس

ليلى محمد الثبيتي
قسم العقيدة، كلية التربية بالخرج، جامعة الأمير سطام، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: l.althobiti@psau.edu.sa

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى بيان معنى إقرار الربوبية عند المشركين، وهل هو إقرار تام أم ناقص، مع إيضاح ذلك بالأدلة، واتبعت الباحثة فيه المنهج التحليلي، وخلصت إلى النتائج التالية: إثبات إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وهذا الإقرار كان إقرارا مجملًا وليس تفصيليا، وأنه قد وقع منهم انحراف في جوانب عدة في الربوبية، وعليه فإيمانهم ليس كاملًا، ولم يفدهم شيئًا، ولم يُدخلهم في الإسلام حتى يؤمنوا بجميع معاني الربوبية ويقروا بلازمه من توحيد الألوهية ويفردوه بالعبادة.

وتأتي أهمية البحث في كون الموضوع يتعلق بأصل من أصول الدين الكبرى، بل أصل الأصول، وهو توحيد الله سبحانه، فقد خلط كثير من المبتدعة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعلهم أقصى مراد العبد وغايته أن يقر بتوحيد الربوبية. بيان معنى ما ذكره بعض أهل العلم من إقرار المشركيـــن بتوحيد الربوبية، وهل هو على إطلاقه أو لا.

وتتلخص أسئلة البحث في: ما معنى الربوبية، وما المعاني التي ذكرها الله تعالى عن توحيد الربوبية؟ هل أقر المشركون بكل معاني توحيد الربوبية، وما المعاني التي أقر بها المشركون والمعاني التي نازعوا فيها؟ هل يكفي الإقرار بالربوبية في نجاة العبد يوم القيامة؟ ما السبب الذي دفع المشركين لإنكار بعض معاني الربوبية؟

وسيتبع البحث إن شاء الله المنهج التحليلي، وذلك بدراسة الآيات (٣١-٣٥) من سورة يونس، والتي فصلت معاني الربوبية، وفرقت بين ما أقر به المشركون وما لم يقروا به.

ويشتمل البحث بعد المقدمة على: تمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية البحث، وأسئلته، وأهدافه، وإشكاليته، ومنهجه، وحدوده والدراسات السابقة ، وخطة البحث، التمهيد: التعريف بكلة الرب، وتوحيد الربوبية، وآثار الإيمان الربوبية، والعلاقة بينه وبين توحيد الألوهية.

المبحث الأول: في معاني الربوبية التي تضمنتها آيات سورة يونس، المبحث الثاني: تحرير ما أقر به المشركون وما نازعوا فيه من الربوبية، الخاتمة: وفيها خلاصة نتائج الدراسة، والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، المشركون، سورة يونس.

release Ma'ani Tawhid Al-Rububiyyah wa Bayan Ma Aqarra bihi Al-Mushrikun wa Ma Naz'u Fihi Min Khilal Dirasat Al-Ayat (31-35) Min Surat Yunus

Laila Mohammed Al-Thubaiti
Department of Aqidah, College of Education in Al-Kharj, Prince Sattam bin Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: l.althobiti@psau.edu.sa

Abstract:

This research aims to clarify the concept of acknowledging Allah's Lordship (Tawhid Al-Rububiyyah) among polytheists. The study investigates whether their acknowledgment was complete or partial, supported by evidence. The researcher employed an analytical methodology and concluded with the following findings: Polytheists acknowledged Tawhid Al-Rububiyyah, but this acknowledgment was general and not detailed. Deviations occurred in several aspects of their understanding of Allah's Lordship, making their faith incomplete.Their acknowledgment did not benefit them or lead to Islam unless they fully embraced all meanings of Tawhid Al-Rububiyyah, adhered to its requirements, and unified Allah in worship (Tawhid Al-Uluhiyyah).

The importance of this study lies in its focus on a fundamental principle of the religion — the foundation of foundations: the oneness of Allah. Many innovators have confused Tawhid Al-Rububiyyah with Tawhid Al-Uluhiyyah, limiting the ultimate goal of servitude to acknowledging Allah's Lordship alone.

The study also addresses the interpretation of some scholars who stated that the polytheists acknowledged Tawhid Al-Rububiyyah, questioning whether this acknowledgment was absolute or partial. The research questions are summarized as follows: What is the meaning of Rububiyyah (Lordship), and what are the meanings mentioned by Allah Almighty regarding the Oneness of Lordship (Tawhid Al-Rububiyyah)? Did the polytheists acknowledge all aspects of the Oneness of Lordship, and what aspects did they affirm, and what aspects did they dispute? Is acknowledging Lordship sufficient for the salvation of a servant on the Day of Judgment? What was the reason that led the polytheists to deny some aspects of Lordship?The research follows an analytical methodology by studying verses (31-35) from Surah Yunus, which elaborate on the meanings of Tawhid Al-Rububiyyah and distinguish between what the polytheists acknowledged and denied.

The research will, God willing, follow the analytical method by studying verses (31–35) from Surah Yunus, which elaborate on the meanings of *Rububiyyah* (Lordship) and distinguish between what the polytheists acknowledged and what they denied.

The research, after the introduction, consists of: a preface, two main sections, and a conclusion.
The introduction includes: the importance of the research, its questions, objectives, problem statement, methodology, scope, previous studies, and research plan.
The preface provides: a definition of the term "Lord" (*Rabb*), the Oneness of Lordship (*Tawhid Al-Rububiyyah*), the effects of faith in Lordship, and its relationship to the Oneness of Worship (*Tawhid Al-Uluhiyyah*).
Section One: The meanings of Lordship as presented in the verses of Surah Yunus.
Section Two: An analysis of what the polytheists acknowledged and what they disputed regarding Lordship.
The conclusion: A summary of the study's findings and recommendations.

Keywords: Al-Tawhid, Tawhid Al-Rububiyyah, Tawhid Al-Uluhiyyah, Al-Mushrikun, Surat Yunus

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد؛

فإن الله ﷻ أرسل رسله، وأنزل كتبه، وخلق السماوات والأرض ليعرف ويعبد ويوحد، ويكون الدين كله لله، والطاعة كلها له، والدعوة له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويُعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك لظلم عظيم، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات(١).

وفي حديث معاذ ﷺ قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق

(١) الداء والدواء، ص٢٤٣.

الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم(١).

وبهذا التوحيد أرسل الله سبحانه جميع رسله، وأنزل جميع كتبه، وأطبقت عليه دعوةُ الرسل من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلق السماوات والأرض والجنة والنار، فجعل الجنّة لأهله، والنار للمشركين به فيه.

وهذا التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد ذكر الله ﷻ عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فأما توحيد الرُّبوبيّة وهو الإقرار بكونه خالقًا رازقًا مالكًا، فهذا قد اعترف به مشركو العرب، ولم يخرجوا به من الشِّرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥]. ولهذا يحتجُّ عليهم به على توحيد إلهيّته، وأنّه لا ينبغي أن يُعبد غيرُه، كما أنّه لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، ولو أنجى هذا التوحيد وحده لأنجى عباد الأصنام، والشأن في توحيد الإلهية الذي هو الفارق بين المشركين والموحدين.

ولكن هذا الإقرار بتوحيد الربوبية ليس إقرارًا تامًّا، وإنما هو إقرار بغالب معاني الربوبية، وبما ليس له تعلق بمعنى سيادة الله وتشريعه، فمع كون هذا أحد معاني

(١) رواه البخاري (٥٩٦٧)، ومسلم (٣٠).

الربوبية، إلا أن المشركين نازعوا فيه، ولم يقروا بأحقية الله به، بل جعلوا لأنفسهم ولرؤسائهم حق التشريع والطاعة من دون الله سبحانه.

وقد اختارت الباحثة تفصيل هذه المسألة من خلال دراسة بعض الآيات التي فصلت معاني توحيد الربوبية، وهي الآيات (٣١-٣٥) من سورة يونس.

أهمية البحث:

١- كون الموضوع يتعلق بأصل من أصول الدين الكبرى، بل أصل الأصول، وهو توحيد الله سبحانه.

٢- خلط كثير من المبتدعة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعلهم أقصى مراد العبد وغايته أن يقر بتوحيد الربوبية.

٣- بيان معنى ما ذكره بعض أهل العلم من إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وهل هو على إطلاقه أو لا.

أسئلة البحث:

١- ما معنى الربوبية، وما المعاني التي ذكرها الله تعالى عن توحيد الربوبية؟

٢- هل أقر المشركون بكل معاني توحيد الربوبية، وما المعاني التي أقر بها المشركون والمعاني التي نازعوا فيها؟

٣- هل يكفي الإقرار بالربوبية في نجاة العبد يوم القيامة؟

٤- ما السبب الذي دفع المشركين لإنكار بعض معاني الربوبية؟

أهداف البحث:

١- بيان أهمية معرفة معاني الربوبية على التفصيل، ليُعرف منها مكامن الخلل في الاعتقاد عند أصحابه.

٢- بيان معنى إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وهل هو إقرار تام بكل معانيه أم لا.

٣- فهم آيات القرآن الكريم المتعلقة بتوحيد الله تعالى على وجهها، ووضعها في مواضعها الصحيحة.

٤- أهمية معرفة ما يترتب على الإقرار بالربوبية، وهل هو كافٍ في نجاة العبد يوم القيامة.

منهج البحث:

سيتبع البحث إن شاء الله المنهج التحليلي، وذلك بدراسة الآيات (٣١-٣٥) من

سورة يونس، والتي فصلت معاني الربوبية، وفرقت بين ما أقر به المشركون وما لم يقروا به.

حدود البحث:

تتركز حدود البحث على بيان مسألة معاني الربوبية التي ذكرها الله تعالى في الآيات (٣١-٣٥) من سورة يونس، وذكر ما أقر به المشركون وما نازعوا فيه، وما يترتب على إقرارهم بما أقروا به.

الدراسات السابقة:

وإنما ذكره بعض الباحثين ضمن رسائل ودراسات عن التوحيد وأحكامه، ومن ذلك:

١- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، للدكتور عبد الرحيم بن صمايل السلمي، وأصل الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٢- تحقيق الإفادة بتحرير مفهوم العبادة، للدكتور سلطان بن عبد الرحمن العميري، ط. مركز تكوين، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ.

٣- رسالة توحيد الربوبية، ضمن كتاب (رسائل في العقيدة) للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، ط. دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ.

خطة البحث:

يشتمل البحث بعد المقدمة على: تمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية البحث ، وأسئلته ، وأهدافه ، وإشكاليته ، ومنهجه ، وحدوده والدراسات السابقة ، وخطة البحث .

التمهيد: التعريف بكلة الرب ، وتوحيد الربوبية ، وآثار الإيمان الربوبية ، والعلاقة بينه وبين توحيد الألوهية ، وفيه:

أولًا: معنى كلمة الرب.

ثانيًا: المراد بتوحيد الربوبية، وبيان معانيه.

ثالثًا: آثار الإيمان بتوحيد الربوبية.

رابعًا: العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

خامسًا: توحيد الربوبية ليس هو الغاية في التوحيد.

المبحث الأول: في معاني الربوبية التي تضمنتها آيات سورة يونس ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النوع الأول: معاني تدبير الكون والقيام على شئون الخلق، وشواهد ذلك من القرآن.

المطلب الثاني: النوع الثاني: معنى إعادة الخلق، وشواهد ذلك من القرآن.

المطلب الثالث: النوع الثالث: معنى الهداية وتعلقه بحق السيادة والتشريع، وشواهد ذلك من القرآن.

المبحث الثاني: تحرير ما أقر به المشركون وما نازعوا فيه من الربوبية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: معنى إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وبيان تفصيل ما أقروا به.

المطلب الثاني: معاني الربوبية التي نازع فيها المشركون، وبيان وجه إنكارهم لها.

المطلب الثالث: إقرار المشركين بجملة معاني الربوبية لا ينفع إلا بالإقرار بسائر معاني الربوبية، مع الإقرار بتوحيد الألوهية أيضًا.

الخاتمة: وفيها خلاصة نتائج الدراسة، والتوصيات.

المصادر والمراجع.

التمهيد

التعريف بكلة الرب ، وتوحيد الربوبية ، وآثار الإيمان الربوبية ، والعلاقة بينه وبين توحيد الألوهية

أولًا: معنى كلمة الرب :

"الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم"(١)

يقول ابن الأنباري: "الرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع...ويكون الرب المصلح"(٢)

وما ذكره ابن الأنباري يجمع مجمل المعاني الشرعية الواردة في اسم الرب.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: "الرب سبحانه هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل".(٣)

وقال أيضا: "الرَّبُّ: هُوَ الَّذِي يُرَبِّي عَبْدَهُ فَيُعْطِيهِ خَلْقَهُ ثُمَّ يَهْدِيهِ إِلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِنْ الْعِبَادَةِ وَغَيْرِهَا"(٤)

ويقول الإمام ابن القيم: "الرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله هو الرب بهذه الاعتبارات"(٥)

ويقول الشيخ السعدي: "الرب هو المربي جميع العالمين -وهم من سوى الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة فمنه تعالى"(٦)

إطلاق لفظ "رب" في حق المخلوق:

لفظ (رب) لا يطلق في حق المخلوق إلا مضافًا، فيقال: رب الدار، ورب المال.

---

(١) لسان العرب (٣٩٩/١).

(٢) المرجع السابق (٤٠٠/١-٤٠١).

(٣) مجموع الفتاوى (٩٢/١).

(٤) المصدر السابق (٢٢/١).

(٥) بدائع الفوائد (١٥٤٣/٤).

(٦) تفسير السعدي (٣٩).

يقول ابن قتيبة: "لا يقال لمخلوق: هذا الرب، معرَّفًا بالألف واللام، كما يقال لله. إنما يقال: هذا ربّ كذا، فيعرّف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء. فإذا قيل: الربّ، دلّت الألف واللام على معنى العموم. وإذا قيل لمخلوق: ربٌّ كذا وربٌّ كذا، نُسب إلى شيء خاص؛ لأنه لا يملك شيئًا غيره"(١)

ثانياً: المراد بتوحيد الربوبية، وبيان معانيه :

التوحيد لغة: من الوَحدة، وهي الانفراد. يقول ابن فارس: "الواو، والحاء، والدال: أصل واحد يدل على الانفراد"(٢) واصطلاحًا: "إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات".(٣)

وتوحيد الربوبية هو: "الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر"(٤)

وقيل: "إفراد الله بالخلق والملك والتدبير"(٥) .وقيل: "إفراد تعالى بما يختص به من الخلق والملك والتدبير، ونفيها عن كل ما سواه"(٦)

وربوبية الله على خلقه تنتظم في ثلاثة أصول:

الخلق، والملك، والتدبير.

فهو خالق الخلق لا خالق غيره، والخالق يملك ما خلق لا ملك لغيره فيه، والملك المالك يتصرف في ملكه ويدبره، لا تدبير لغيره فيه . والتدبير ينتظم في ثلاثة أصول:

١- تسيير نظام الكون، من خلق السماوات والأرض وسكانهما، وخلق الليل والنهار والموت والحياة ونحو ذلك.

٢- القدر من قسمة الأرزاق والأعمار والهيئات ونحو ذلك.

---

(١) غريب القرآن (١٥).

(٢) مقاييس اللغة (٩٠/٦).

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١١/١).

(٤) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله (١٧).

(٥) القول المفيد (١٢/١).

(٦) المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد للدكتور سلطان العميري (١٤٠/١).

٣- البعث والنشور والحساب والجزاء.

وقد دل الكتاب على أصول الربوبية الثلاثة: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧]؛ فذكر الخلق في قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾، والملك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، والتدبير في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[١].

وربوبية الله لخلقه على نوعين:

- ربوبية عامة: وهي تتضمن خلقه تعالى للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم في الدنيا والآخرة، وهي شاملة لعموم الخلق مؤمنهم وكافرهم.
- ربوبية خاصة: وهي تتضمن التربية على الإيمان، والتوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، وهي خاصة لأوليائه وأصفيائه.[٢]

ثالثاً : العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة التزام وتضمن، بمعنى: أن من أقر واعترف بربوبية الله وأنه الخالق وحده والرازق وحده والمدبر وحده والمالك وحده؛ فإقراره بذلك يلزمه بأن يصرف العبادة لمن يستحقها وهو الله ﷻ، وقد دعا الله ﷻ إلى عبادته فيلزم إفراده بها سبحانه لا شريك له. ولذلك جاءت النصوص الكثيرة في القرآن بالاحتجاج على المشركين الذين يقرون بالربوبية بإلزامهم بتوحيد الألوهية، ومنها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وبما أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية، فإن توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، بمعنى أن كل من أفرد الله بالعبادة ووحده فيها؛ فإنه لن يصرف له العبادة إلا وهو مقر ومعترف بربوبيته، وأنه الخالق المالك المدبر له وحده.

---

(١) انظر: معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيها، للدكتور محمد الجهني (٤-٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٣٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والربوبية تستلزم الإلهية"[١]

وقال أيضًا: "بل القرآن قرر فيه توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية"[٢]

وقال أيضًا: "وإقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه يتضمن إقراره بربوبيته وأنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره"[٣]

وقال ابن أبي العز الحنفي: "وهو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية"[٤]

ويقول الشيخ ابن عثيمين عن توحيد الألوهية: "هو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن كل من عبد الله وحده، فإنه لن يعبده حتى يكون مقرًا له بالربوبية".[٥] وعليه فكلام هؤلاء العلماء يفيد أن العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية علاقة تضمن ولزوم، فلا ينفع أحدهما دون الآخر.

رابعًا: توحيد الربوبية ليس هو الغاية في التوحيد :

توحيد الربوبية من أعظم ما جاءت به الرسل، ومن أشرف ما أمرت به الأنبياء، فهو يتعلق بالحديث عن أفعال الرب سبحانه، ويعرف الناس بخالقهم لكن الرسل لم تبعث إلا للدعوة لتوحيد الألوهية، لأن توحيد الربوبية كان أغلب الناس مقرين بأصله، لكنها أمرت به مثل ما أمرت بالألوهية؛ وعليه فإن توحيد الربوبية ركن أصيل في الدين، لا يصح إسلام المرء إلا به فهو من الإيمان الواجب على العبد، لكن تحقيقه لا يخلص المرء من الشرك.[٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن توحيد الربوبية: "فلاريب أنه من التوحيد الواجب وهو الإقرار بأن خالق العالم واحد، لكنه هو بعض الواجب، وليس الواجب الذي يخرج به الإنسان من الشرك إلى التوحيد، بل المشركون الذي سماهم الله ورسوله مشركين، وأخبر الرسل أن الله لا يغفر لهم، كانوا مقرين بأن خالق كل شيء ، فهذا أصل عظيم

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤٨/١٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣١٣/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢٥/١٠).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٣١).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨٢/١).

(٦) انظر: المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد (١٤٦/١-١٤٧).

يجب على كل أحد أن يعرفه، فإنه به يعرف التوحيد، الذي هو رأس الدين وأصله"[١]

وتوحيد الربوبية ليس هو غاية التوحيد ولا يكفي وحده في حصول الإسلام، بل لابد من الإتيان بتوحيد العبادة؛ لأنه سبب ولازم له.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد. ويظن هؤلاء أنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد...

وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالي من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً، بل ولا مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له".[٢]

قال الإمام ابن القيم: "ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده، فإن عُباد الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له؛ لم ينفعهم توحيد ربوبيته".[٣]

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣٧٨/٩).

(٢) المصدر السابق (٢٢٥/١-٢٢٦).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص٤٦).

المبحث الأول

في معاني الربوبية التي تضمنتها آيات سورة يونس

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

معنى إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وبيان تفصيل ما أقروا به

إن معرفة الله والإقرار بوجوده أمر فطري مركوز في قلوب الإنس والجن جميعهم، فكل فرد منهم يعترف بذلك ويقر به لأن "وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته تكذبه".(١)

والأدلة التي جاءت في بيان فطرية المعرفة وأنها ضرورية كثيرة، منها:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]،

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وقوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٢)

ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا".(٣)

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم: (٢/٦٠٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٥).

يخبر الله ﷻ في هذ الحديث بأنه خلق عبـــاده حنفاء كلهم، موحدين مسلمين، مستقيمين، منيبين لقبول الهداية، حين أخذ عليهم العهـــد فـــي الذر، وهذا يدل على أنهم مفطورون على المعرفة بربهم والإقرار به تعالى.(١)

ولذا كان المشركون مقرين بربوبية الله والاعتراف به؛ لأن دلائل ربوبيته سبحانه ظاهرة في كل شيء. وقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وطرفٌ من أشعار المشركين، ونصوص علماء السلف على إقرارهم بالربوبية.

يقول الله تعالى:

١- ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

٢- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ [العنكبوت: ٦١-٦٣].

٣- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥﴾ [لقمان: ٢٥].

٤- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الزمر: ٣٨].

٥- ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

وهذه الآيات تدل على اعتراف المشركين بوحدانية الله وإقرارهم بالخلق والرزق والملك والتدبير. وذلك يكفي لإلزامهم بالألوهية والعبادة له وحده.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٩٧/١٧).

٦- وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وهذه الآية تدل على إثبات المشركين لمشيئة الله وقدره، وهي دليل على إقرارهم بالربوبية.

٧- حديث حصين الخزاعي: أن النبي ﷺ قال له: " كم إلها تعبد؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحدا في السماء، قال: من تعد لرغبتك ورهبتك، قال الذي في السماء..".[١]

٨- حديث حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية، هل لي فيها من شيء، فقال له رسول الله ﷺ: "أسلمت على ما أسلفت من خير"

وفي رواية أخرى: "أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم"[٢]، ومعنى أتحنث: أي أتعبد.

٩- ما جاء في وصف تلبية المشركين وحجهم قبل الإسلام، فعن ابن عباس ﷺ: كان المشركون يقولون وهم يطوفون بالبيت: لبيك لا شريك لك، فيقول الرسول ﷺ: ويلكم قد قد، فيقولون إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك".[٣]

وهذا يدل على إقرار المشركين بالربوبية والملك لله ﷻ.

يقول الصنعاني: "ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى"(٤)

١٠- عن الشريد بن سويد الثقفي أنه قال: "ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا، قلت: نعم، قال: "هيه" فأنشدته بيتا فقال: "هيه". ثم أنشدته بيتا فقال: "هيه" حتى أنشدته مائة بيت، وفي رواية قال ﷺ: "إن كاد ليسلم".[٥]

١١- أنهم يخلصون الدعاء لله عند اشتداد الكروب، وفي حال الرخاء يشركون به.

كما حكى الله ﷻ عنهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله تعالى:

---

(١) رواه الترمذي، رقم (٣٤٨٣).
(٢) صحيح مسلم (١٢٣).
(٣) صحيح مسلم (١١٨٥).
(٤) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص٥٠.
(٥) صحيح مسلم (٢٢٥٥).

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

قال الإمام الشنقيطي معقبا على هذه الآيات: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْكُفَّارَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَعْلَمُونَ عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ مَا ذُكِرَ مِنْ إِجَابَةِ الْمُضْطَرِّ وَكَشْفَ السُّوءِ عَنِ الْمَكْرُوبِ، مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَكَانُوا إِذَا دَهَمَتْهُمُ الْكُرُوبُ، كَإِحَاطَةِ الْأَمْوَاجِ بِهِمْ فِي الْبَحْرِ فِي وَقْتِ الْعَوَاصِفِ يُخْلِصُونَ الدُّعَاءَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ كَشْفَ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ، فَإِذَا أَنْجَاهُمْ مِنَ الْكَرْبِ رَجَعُوا إِلَى الْإِشْرَاكِ"(١)

وقد روى الطبري عند قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] بسنده عن قتادة قال: "فالخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك"(٢)

١٢- أنهم كانوا يؤمنون بوجود الملائكة، يقول الله ﷻ عنهم: ﴿*وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١].

١٣- أن منهم من كان يقر بوجود الرسل، يقول الله ﷻ عنهم ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٤].

---

(١) أضواء البيان (٤٠٧/٧).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٤٤١).

ومن ذلك أنهم كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم وإسماعيل ﷺ، وكانوا يزعمون أن ما هم عليه هو من دين إبراهيم وإسماعيل، فعن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ لما قدم، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم الله، أما والله قد علموا أنهما لم يستقيما بها قط"[(١)].

١٤- أن الله ﷻ أثبت لهم الإيمان والشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

جاء في تفسير هذه الآية عن جمع من السلف منهم ابن عباس وقتادة وعكرمة ومجاهد عن المشركين أنهم إذا سئلوا من خلقهم وخلق السماء والأرض قالوا الله وهم مشركون به.[(٢)]

ونقل الإمام الطبري عن المفسرين أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: "قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده"[(٣)]

وهذا معنى إيمانهم وشركهم.

١٥- أن الله ﷻ في كتابه لم يأمرهم بتوحيده بالربوبية وأن يعترفوا بأنه الخالق وحده والمالك وحده والمدبر وحده، بل جاء الأمر بإفراده بالألوهية والعبادة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢] وغيرها من الآيات؛ لأن ما أقروا به من معاني ربوبيته يكفي لإلزامهم بعبادته.

١٦- ومما يدل على إقرارهم بتوحيد الربوبية ما جاء في أشعارهم من اعترافهم بوحدانية الله وبالبعث والنبوات والقدر، وغيرها.

---

(١) رواه البخاري (١٦٠١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/٣٧٢-٣٧٤).

(٣) تفسير الطبري (١٦/٦٠٣).

قال لبيد بن ربيعة:

ألا كل شـــيء مـــا خـــلا الله باطـــل وكـــل نعـــيم لا محالـــة زائـــل

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمـــرهم بلى كل ذي رأي إلى الله واســـل[١]

ويقول أيضا:

فاقنـــع بمـــا قســـم المليـــك فإنمـــا قسم الخلائـــق بيننـــا علامهـــا[٢]

ويقول قس بن ساعدة في ختام إحدى خطبه في سوق عكاظ:

فـــــي الذاهبيـــــــن الأوليـــــــن مـــــن القـــــرون لنـــــا بصائـــــر

لمـــــــا رأيـــــــت مـــــــواردا للمـــوت ليـــس لهـــا مصـــادر

ورأيـــــت قـــــومي نحوهـــــا تمضـــي الأصاغـــر والأكابـــر

لا يرجـــــع الماضـــــي إلـــــى ولا مـــــن الماضيـــــن غابـــــر

أيقنـــــــت أنـــــــي لامحالـــــــة حيـــث صـــار القـــوم صـــائر[٣]

ويقول أمية بن أبي الصلت:

الحَمـــدُ للَّـــهِ مَمســـانا وَمَصـــبَحَنا بـــالخَيرِ صَـــبَّحنا رَبـــي وَمَسَّـــانا

رَبُّ الحَنيفَـــةِ لَـــم تَنفَـــد خَزائِنُهـــا مَملـــوَءَةٌ طَبَّـــقُ الآفـــاقَ أشـــطانا

أَلا نَبِـــيَّ لَنـــا مِنّـــا فَيُخبِرُنـــا ما بُعـــدَ غايَتِنـــا مِـــن رَأسِ مَجرانـــا

بَينَـــا يُرَبِّينـــا آباؤُنـــا هَلَكـــوا وَبَينَمـــا نَقتَفـــي الأَولادَ أَفنانـــا

وَقَـــد عَلِمنـــا لَـــوَ انَّ العِلـــمَ يَنفَعُنـــا أَن سَـــوفَ يتلحَـــقُ أُخرانـــا بِأولانـــا

وَقَد عَجِبتُ وَما بِالمَوتِ مِـــن عَجَـــبٍ مـــا بـــالُ أَحيائِنـــا يَبكـــونَ مَوتانـــا

يـــا رَبِّ لا تَجعَلَنِّـــي كـــافِراً أَبـــداً واَجعَل سَريرَةَ قَلبـــي الـــدَهرَ إيمانـــاً

واِخلِط بِهِ بُنَيتي واِخلِط بِـــهِ بَشَـــري وَاللَحـــمَ وَالـــدَمَ مـــا عُمِّـــرتُ إنســـانا

إِني أَعوذُ بِمَـــن حَـــجَّ الحَجـــيجُ لَـــهُ وَالرافِعُـــونَ لِـــدينِ اللَـــهِ أَركانـــا

---

(١) خزانة الأدب، للبغدادي (٢٤٣/١).

(٢) جمهرة أشعار العرب (١٣٧).

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير(٣٠٠/٣).

مُسَـــلِّمِينَ إِليـــهِ عِنـــدَ حَجِّهِـــمِ لَـــم يَبتَغـــوا بِثَـــوابِ اللَـــهِ أَثمانـــا[١]

وقال زهير بن أبي سلمى:

فـــلا تكـــتمن الله مـــا فـــي نفوســـكم ليخفـــي ومهمـــا يكـــتم الله يعلـــم

يـــؤخر فيوضـــع فـــي كتـــاب فيـــدخر ليـــوم الحســـاب أو يعجّـــل فيـــنقم[٢]

قال الإمام ابن كثير بعد إيراده لهذين البيتين: "فَقَدِ اعْتَرَفَ هَذَا الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ بِوُجُودِ الصَّانِعِ وَعِلْمِهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ، وَبِالْمَعَادِ وَبِالْجَزَاءِ، وَبِكِتَابَةِ الْأَعْمَالِ فِي الصُّحُفِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ".[٣]

ومما يجدر الإشارة إليه أن المشركين ليسوا على طريقة واحدة في الإيمان بالربوبية، فمنهم من آمن ببعض خصائص الربوبية دون بعض.

١٧- وقد نص علماء السلف على أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية.

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة، ومجاهد، وعامر، أنهم قالوا في هذه الآية: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: "ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه، وخلق السموات والأرض، فهذا إيمانهم، ويكفرون بما سوى ذلك"، وروى عن قتادة: "إنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه، ورزقه، وهو مشرك في عبادته"، وروى مثله عن مجاهد، وعن ابن زيد: "ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به"، وأيضًا عن ابن عباس: "ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض؟ ليقولن الله، وهم مع ذلك يشركون به، ويعبدون غيره، ويسجدون للأنداد دونه"(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل المشركون الذي سماهم الله ورسوله مشركين، وأخبر الرسل أن الله لا يغفر لهم، كانوا مقرين بأن خالق كل شيء.

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي (٢/٢٥٣-٢٥٤).

(٢) شرح المعلقات السبع، للزوزوني (١٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٤-٣٧٥).

فهذا أصل عظيم يجب على كل أحد أن يعرفه، فإنه به يعرف التوحيد، الذي هو رأس الدين وأصله".(١)

ويقول أيضًا: "ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بُعث إليهم محمد ﷺ أولًا لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرّون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر أيضًا، وهم مع هذا مشركون"(٢)

وقال أيضا: "وَأَمَّا الرُّبُوبِيَّةُ فَكَانُوا مُقِرِّينَ بِهَا... وَمَا اعْتَقَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ أَنَّ الْأَصْنَامَ هِيَ الَّتِي تُنْزِلُ الْغَيْثَ وَتَرْزُقُ الْعَالَمَ وَتُدَبِّرُهُ وَإِنَّمَا كَانَ شِرْكُهُمْ كَمَا ذَكَرْنَا أَنْ اتَّخَذُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ"(٣)

ويقول الإمام المقريزي: "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهيّة والمحبّة، كما قد حكى الله – تعالى – عنهم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فلما سووا غيره به في هذا التّوحيد كانوا مشركين،

كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

وقد علّم الله ﷻ عباده كيفية مباينة الشّرك في توحيد الإلهيّة، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليًّا وحكمًا وربًّا، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فلا وليّ ولا حكم ولا ربّ إلاّ الله، الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته، فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣٧٨/٩).
(٢) التدمرية (١٨٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٩١/١-٩٢).

إلاّ الله، ولو قال: لا ربّ إلاّ الله أجزاه عند المحققين، فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد"(١)

ويقول الإمام الصنعاني: "الأصل الرابع أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون أن الله تعالى خالقهم.... وأنه الرزاق، الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة.... وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض، وربهن ورب ما فيهما، ورازقهم، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، وبقولهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]، والمشركون مقرون بذلك، لا ينكرونه".(٢)

ويقول الإمام الذهبي: "المشركون والكتابيون وغيرهم عرفوا الله -تعالى- بمعنى أنهم لم يجحدوه، وعرفوا أنه خالقهم... فهؤلاء لم ينكروا البارئ، ولا جحدوا الصانع، بل عرفوه، وإنما جهلوا نعوته المقدسة، وقالوا عليه ما لا يعلمون، والمؤمن فعرف ربه بصفات الكمال، ونفى عنه سمات النقص في الجملة، وآمن بربه، وكف عما لا يعلم، فبهذا يتبين لك أن الكافر عرف الله من وجه، وجهله من وجوه".(٣)

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض معاني الربوبية التي أقر بها المشركون: "إن العرب مع شركها كانت مقرة بأن الله رب كل شيء وخالقه ومليكه، مقرة بالقدر...، وكانت العرب أيضًا تقر بان الله فاعل مختار، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن... ولا ريب أن من أنكر الصانع وقال بأن العالم واجب بذاته، فعقله أفسد من عقل هؤلاء. والعرب لم تكن تقول بهذا اللهم إلا أن يكون في تضاعيفهم آحاد وتقوله، ولكن لم يكن هذا القول ظاهرًا فيهم، بل الظاهر فيهم الإقرار بالخالق وعلمه وقدرته ومشيئته".(٤)

---

(١) تجريد التوحيد المفيد (٧-٨).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (٣٧-٣٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٤٧/١٧).

(٤) درء التعارض (٧٢/٧).

وقال أيضًا: "وَكَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ يَفْعَلُ بِمَشِيئَتِهِ وَيُجِيبُ دُعَاءَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ"(١)

ومما يجدر التنبيه إليه أن قول أهل العلم عن المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية ليس معناه أنهم مقرين به على وجه التمام والكمال، فهذا لا يقول به أحد منهم، بل مرادهم تقرير ما ثبت في القرآن من إقرارهم بمعاني الربوبية من الخلق والرزق والتدبير، فهذه من خصائص الربوبية، وقد اعترف بها المشركون، ثم إن هذا أيضا ليس حكمًا عامًّا مطردًا على جميع المشركين، إذ منهم من وجد عنده حتى الشرك في الربوبية -كما سيأتي- ومنهم من آمن ببعض خصائص الربوبية دون بعض.(٢)

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٥٣/١).

(٢) انظر: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، للدكتور عبد الرزاق البدر (٧٧-٧٨).

المطلب الثاني

معاني الربوبية التي نازع فيها المشركون، وبيان وجه إنكارهم لها

تقدم الحديث عن إيمان المشركين بتوحيد الربوبية وأنهم يعترفون بأصل معاني الربوبية من الخلق والملك والتدبير. وسنوضح في هذا المطلب جوانب انحرافهم في توحيد الربوبية.

يقول الشهرستاني مبينًا صور الإشراك عند العرب: "واعلم أن العرب أصناف شتى: فمنهم معطلة، ومنهم محصلة نوع تحصيل.

معطلة العرب، وهم أصناف:

فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة. وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]...

وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨].

وصنف منهم أقروا بالخالق، وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقربوا المقربين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلوا وحرموا، وهم الدَّهْماء من العرب، إلا شرذمة منهم نذكرهم، وهم الذين أخبر عنهم التنزيل: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] -إلى قوله- ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان: ٨].

ومن العرب من يعتقد التناسخ، فيقول: إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته، فانتصب طيرا هامة، فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة...

ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية، ومنهم من كان يميل إلى النصرانية، ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول: مطرنا بنوء كذا. ومنهم من كان يصبوا إلى الملائكة فيعبدهم، بل كانوا يعبدون الجن، ويعتقدون فيهم

أنهم بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"[١]

ومما يحسن الإشارة إليه أن انحراف المشركين في الربوبية لم يكن على مستوى واحد، فمنهم من قدح في بعض معاني الربوبية دون بعض.

ويمكن عرض صور ذلك الانحراف والخلل في بعض معاني الربوبية بالأدلة، من خلال النقاط التالية:

١-إنكارهم للرسل:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤].

ويقول الله تعالى على لسانهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٠].

ويقول الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص: ٤]

ويقول تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص: ٤]

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]

يقول الإمام ابن القيم: "وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ جَحَدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لَمْ يُقَدِّرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَأَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، بَلْ يَتَعَالَى وَيَتَنَزَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْكَارًا لِرُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ وَحُكْمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَالظَّنِّ السَّيِّءِ بِهِ أَنَّهُ خَلَقَ خَلْقَهُ عَبَثًا بَاطِلًا، وَأَنَّهُ خَلَّاهُمْ سُدًى مُهْمَلًا، وَهَذَا يُنَافِي كَمَالَهُ الْمُقَدَّسَ،..

وَلِذَلِكَ كَانَ جَحْدُ نُبُوَّةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَتَكْذِيبُهُ إِنْكَارًا لِلرَّبِّ تَعَالَى فِي الْحَقِيقَةِ وَجُحُودًا لَهُ، فَلَا يُمْكِنُ الْإِقْرَارُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ، بَلْ وَلَا بِوُجُودِهِ، مَعَ تَكْذِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ"[٢]

---

(١) الملل والنحل (٣/٧٩-٨٢).

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/٥٨٣-٥٨٤).

٢-إنكارهم للبعث:

البعث من المسائل التي حصل فيها النزاع والخصام بين النبي ﷺ والمشركين، فقد كانوا ينكرونه أشد الإنكار ويستبعدون أن يعيد الله العظام بعد أن أصبحت رميمًا، لذلك نجد الآيات في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة في إثباته وتقريره.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ٤٩ * قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

فقد أنكر مشركو قريش البعث، واستبعدوا أن يعيد الله أبدانهم مرة أخرى بعد أن استحالت رمما، فأمر الله نبيهم ﷺ أن يقول لهم كونوا حجارة أو حديدًا أي خلقًا أعظم من ذلك أو كونوا أي خلق مما يكبر ويعظم في صدوركم فهو قادر سبحانه على إعادتكم.

يقول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: "يَقولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنْ قَوْمِكَ الْقَائِلِينَ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ٤٩﴾ [الإسراء: ٤٩]: كُونُوا إِنْ عَجِبْتُمْ مِنْ إِنْشَاءِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ وَإِعَادَتِهِ أَجْسَامَكُمْ، خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ بِلَاكُمْ فِي التُّرَابِ، وَمَصِيرِكُمْ رُفَاتًا، وَأَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنِّي أُحْيِيكُمْ وَأَبْعَثُكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ مَصِيرِكُمْ كَذَلِكَ كَمَا بَدَأْتُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ"(١).

ويقول تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]

وقوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ [النحل: ٣٨]

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ٤٩﴾ [الإسراء: ٤٩]

وقوله تعالى: ﴿*وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾

---

(١) تفسير الطبري (١٤/٦١٥).

[الرعد: ٥]

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٧]

وغيرها من الآيات الكثيرة في هذا الشأن.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى:"كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ علي من إعادته، وأما شتمُه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كُفُئًا أحد"(١).

وإنكار قدرة الله على البعث وإعادة الخلق مرة أخرى قدح في ربوبية الله تعالى وقدرته وحكمته.

وفي أسباب نزول قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨] روى الطبري بسنده عن مجاهد وقتادة أن أبيَّ بنَ خلف، أتى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففتَّه، ثم ذرَّاه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: "الله يحييه، ثم يميته، ثم يدخلك النار"، وروى عن سعيد بن جبير، قال: جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففتَّه بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعدما أرَم؟ قال: "نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم" قال: ونزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧].

يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]

قال الإمام ابن القيم في هذه الآيات: "فجعل كمال ملكه، وكونه سبحانه الحق، وكونه لا إله إلا هو، وكونه رب العرش المستلزم لربوبيته لكل ما دونه؛ مبطلًا لذلك الظن الباطل والحكم الكاذب. وإنكار هذا الحسبان عليهم مثل إنكاره عليهم حسبانهم أنه لا يسمع سرهم ونجواهم، وحسبان أنه لا يراهم ولا يقدر عليهم، وحسبان أن يسوي بين أوليائه وبين أعدائه في محياهم ومماتهم، وغير ذلك مما هو منزه عنه تنزيهه عن

(١) رواه البخاري (٤٩٧٤).

سائر العيوب والنقائص، وأن نسبة ذلك إليه كنسبة ما يتعالى عنه مما لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك ونحو ذلك مما ينكره -سبحانه- على من حسبه أشد الإنكار، فدل على أن ذلك قبيح، ممتنع نسبته إليه، كما يمتنع أن ينسب إليه سائر ما ينافي كماله المقدس.

ولو كان نفي تركه سدى إنما يعلم بالسمع المجرد لم يقل بعد ذلك ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾ [القيامة: ٣٧] إلى آخره، مما يدل على أن تعطيل أسمائه وصفاته ممتنع، وكذلك تعطيل موجبها ومقتضاها، فإن ملكه الحق يستلزم أمره ونهيه وثوابه وعقابه، وكذلك يستلزم إرسال رسله، وإنزال كتبه، وبعث المعاد ليوم يجزى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ فمن أنكر ذلك فقد أنكر حقيقة ملكه، ولم يُثبت له الملك الحق، ولذلك كان منكر ذلك كافرًا بربه، وإن زعم أنه يقر بصانع العالم فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال والمستحق لنعوت الكمال"[١]

٣-ادعاء علم الغيب:

علم الغيب مما اختص به الله ﷻ، فهو من خصائص ربوبيته سبحانه، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]

وقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]

والغيب ينقسم إلى قسمين:

١-غيب مطلق: وهذا لا يعلمه إلا الله ﷻ، ولم يطلع عليه لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

٢- غيب مقيد: وهو ما علمه بعض المخلوقات، فهو غيب عمن غاب عنه، وليس هو غيبًا عمن شهده.[٢]

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٠٠).
(٢) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان (٧٦).

يقول الشيخ حافظ حكمي: "علم الغيب من صفات الربوبية التي أستأثر الله بها دون من سواه، فلا سَمِيَّ له ولا مضاهي ولا مشارك"(١)

ومن صور ادعاء علم الغيب ومشاركة الله في خصائص ربوبيته: الكِهانة والعِرافة والتنجيم والاستقسام بالأزلام، وقد كان المشركون يصدقون بمن يدعي معرفة الغيب من هؤلاء ويستسلمون له، وهذا شرك في الربوبية. كما أنهم يدَّعون أن الجن تعلم الغيب.

يقول ابن الأثير: الكاهِنُ: الَّذِي يَتَعاطَى الخَبَر عَنِ الكائِنات فِي مُسْتَقْبَل الزَّمَانِ، ويَدَّعي مَعْرِفَةَ الأسْرار. وَقَدْ كَانَ فِي الْعَرَبِ كَهَنَة، كَشِقّ، وسَطِيح، وغيرِهما، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَزْعمُ أَنَّ لَهُ تابِعاً مِنَ الجِنّ ورَئِيًّا يُلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ، وَمِنْهُمْ من كَانَ يَزْعمُ أَنَّهُ يَعْرِف الْأُمُورَ بمُقَدِّمات أسْباب يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى مَواقِعها مِنْ كَلَامِ مَن يَسأله أَوْ فِعْلِه أَوْ حَالِه، وَهَذَا يَخُصُّونه بِاسْمِ العَرَاف، كَالَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الشَّيْءِ المَسْروق، وَمَكَانِ الضَّالَّة ونَحْوِهِمَا".(٢)

والعراف: "اسم عام للكاهن والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغيبية"(٣)

روى البخاري تعليقًا عن جابر بن عبد الله: "كانت الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كهان ينزل عليهم الشياطين"(٤)

وقد جاء الإسلام بالنهي عن الكهانة وعن الذهاب للكهنة وسؤالهم، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ".(٥)

وعن بعض أزواج النبي ﷺ أنه ﷺ قال: "من أتى عرافا، فسأله عن شيء لم

---

(١) معارج القبول (٢/٥٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢١٤-٢١٥)، وانظر: المفصل (١٦/٤٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/١٧٣).

(٤) رواه البخاري تعليقا (٦/ ٤٥).

(٥) رواه أحمد (٩٦٦٧)، والحاكم في المستدرك (١٥).

تقبل له صلاة أربعين يوما".[١]

وعن عمران ابن حصين أن النبي ﷺ قال: "ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له".[٢]

وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان؟ قال: "فلا تأتوا الكهان"[٣]

وهذه الأحاديث تدل على حرمة الذهاب إلى الكهنة والعرافين سواء صدقهم أم لا، كما تدل أيضًا على حرمة تصديقهم، وعدم قبول صلاة من ذهب إليهم أربعين يومًا.

والتنجيم: هو "الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية كما يزعمون"[٤]

وقد ذكر الشهرستاني أن من علوم العرب: علم الأنواء، وذلك مما يتولاه الكهنة.[٥]

كما كان منتشرًا عند العرب نسبةُ السعود والنحوس إلى الكواكب.[٦]

وقد جاء الإسلام بالنهي عن ذلك وتحريمه، فمن ذلك قول النبي ﷺ "من اقتبس علمًا من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد".[٧]

وقوله ﷺ: "ثلاث أخاف على أمتي: الاستسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، وتكذيب بالقدر".[٨]

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه البزار (٣٥٧٨)، من طريق أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران بن حصين، وقال: "وهذا الحديث قد روي بعض كلامه من غير وجه، فأما بجميع كلامه ولفظه فلا نعلمه يروى إلا عن عمران بن حصين، ولا نعلم له طريقا عن عمران بن حصين إلا هذا الطريق".

(٣) صحيح مسلم (٥٣٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

(٥) انظر: الملل والنحل (٣/ ٨٥).

(٦) انظر: المحاسن والمساوئ، للشيخ إبراهيم محمد البيهقي (ص٣٢٧-٣٢٨)، والتنجيم والمنجمون، لعبد المجيد المشعبي (ص١١٨).

(٧) رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٠٢٥).

(٨) رواه أحمد (٢١١٨٥).

يقول الإمام الخطابي: "علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، ويدَّعون لها تأثيرًا في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم استأثر الله سبحانه به، لا يعلم الغيب أحد سواه".(١)

الاستقسام بالأزلام:

"الاستقسام هو إلزام أنفسهم بما تأمر به القِداح كقسم اليمين"(٢).

والأزلام هي: السهام، قال ابن عباس: "القدح كانوا يستقسمون بها في الأمور"(٣)

و"كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفرًا أو تجارة أو نكاحًا أو اختلفوا في نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الأمور العظيمة جاءوا إلى هبل –وهو أعظم صنم لقريش بمكة وكان في الكعبة– ومعهم مائة درهم فأعطوها صاحب القِدَاح حتى يجلِّيها لهم، وكانت أزلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة، وهي مستوية في المقدار، عليها أعلام وكتابة، قد كتبت على واحد (أمرني ربي)، وعلى واحد منها (نهاني ربي)، وعلى واحد (منكم) وعلى واحد (من غيركم) وعلى واحد (ملصق) وعلى واحد (العقل) وواحد (غفل) أي ليس عليه شيء، فإذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدوا له ومعرفة عاقبته أخير هو أم شر استقسم لهم أمين القداح بقدحي الأمر والنهي، فإن خرج قدح الأمر ائتمروا وباشروا فيما تصدوا له من حرب أو سفر أو زواج... أو نحو ذلك مما يتفق لهم، وإن خرج لهم قدح النهي أخروا ذلك العمل إلى سنة، فإذا انقضت أعادوا الاستقسام مرة أخرى"(٤)

وعليه فإن الاستقسام بالأزلام عند الأصنام كما فعل المشركون فيه اعتقاد أنها تعلم الغيب. وهذا شرك في الربوبية.

---

(١) معالم السنن (٢٢٩/٤).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٧٨).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٧٧).

(٤) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لمحمود شكري الألوسي (٦٦/٣ – ٦٧).

وقد حرم الإسلام الاستقسام بالأزلام بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

اعتقادهم أن الجن تعلم الغيب:

لقد كان العرب في جاهليتهم يعتقدون أن الجن تعلم الغيب(١)

وهذا اعتقاد باطل؛ لأن ماحكاه الله في كتابه عن قصة وفاة سليمان بن داود ﷺ فيه دلالة على عدم معرفة الجن للغيب.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤]

قال قتادة: "وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ الْغَيْبَ لَعَلِمَ الْجِنُّ حَيْثُ مَاتَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ﷺ، فَلَبِثَتْ تَعْمَلُ حَوْلًا فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ، وَأَشَدِّ الْهَوَانِ، لَا يَشْعُرُونَ بِمَوْتِهِ، فَمَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ مِنْسَأَتِهِ - أَيْ تَأْكُلُ عَصَاهُ - فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانَتِ الْجِنُّ تَعْلَمُ الْغَيْبَ، مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ، وَكَانَتِ الْجِنُّ تَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، إِنَّهَا كَانَتْ تَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَتَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ ﷻ بِذَلِكَ، وَجَعَلَ مَوْتَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ لِلْجِنِّ عِظَةً، وَلِلنَّاسِ عِبْرَةً"(٢)

يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: "الجن لا يعلمون الغيب ولا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، واقرأ قوله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤]، ومن ادعى علم الغيب فهو كافر، ومن صدق من يدعي علم الغيب فإنه كافر أيضًا؛ لقوله -تعالى-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى

(١) انظر: بلوغ الأرب (٢/٣٦١).

(٢) العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني (٤/١٢٢٦).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، فلا يعلم غيب السموات والأرض إلا الله وحده".[١]

٤- اعتقادهم تأثيراً في الكون لغير الله:

وهذا ظاهر في المشركين من عدة أمور:

أ-الاستسقاء بالأنواء:

الاستسقاء: هو طلب السقيا.

والأنواء: جمع (نَوْء) وهي منازل القمر.

"والنوء الكوكب، ولذلك سموا منازل القمر الأنواء، وإنما سمي النجم نوءا، لأنه ينوء طالعًا عند مغيب رقيبه من ناحية المغرب".[٢]

وقد كان العرب في جاهليتهم ينسبون نزول المطر لغير الله، يقول الشهرستاني: "ومنهم-أي العرب- من كان يصبو إلى الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول: مُطرنا بنوء كذا.."[٣]

وقد جاء الإسلام بالنهي عن الاستسقاء بالأنواء، يقول تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقعة: ٨٢]

يقول السعدي في تفسيره: "أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة لغير مسديها ومُوليها، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله، فإن التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم".[٤]

وعن زيد بن خالد الجهني ﷺ قال: صلَّى لنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بالحُديبيَةِ في إثْرِ سماءٍ كانت مِن اللَّيلِ فلمَّا انصرَف أقبَل على النَّاسِ فقال: (هل تَدرونَ ماذا قال ربُّكم)؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ قال: (قال: أصبَح مِن عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ فأمَّا مَن

---

(١) فتاوى أركان الإسلام (ص ٩٨).

(٢) أعلام الحديث، للخطابي (٥٥٣/١).

(٣) الملل والنحل (٨٢/٣)، وانظر: بلوغ الأرب، للألوسي (٢٢٣/٢).

(٤) تفسير السعدي (٨٣٦).

قال: مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِه فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب فأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب)[١]

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر فهذا كفر؛ لأنه أشرك في الربوبية، والمشرك كافر. وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمة يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء".[٢]

وقال أيضًا: "فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا؛ فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا شرك وكفر. وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعا، أو يدفع عنهم ضرًّا. أو أنه يشفع بدعائهم إياه، فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله صلي الله عليه وسلم بالنهي عنه وقتال من فعله... وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلًا، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده. لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز"[٣]

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ."[٤]

وعن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "ثلاثٌ أخافُ على أُمَّتِي: الاسْتِسْقاءُ بالأنْواءِ، وحَيْفُ السُّلطانِ، وتَكذِيبٌ بالقَدَرِ"[٥].

ب-التطير:

التطير في اللغة: هو التشاؤم بالطير[٦]

---

(١) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص٣٢٦).

(٣)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص٣٢٤).

(٤) رواه مسلم (٩٣٤).

(٥) رواه البزار (٤٢٨٨).

(٦) انظر: الصحاح، للجوهري (٧٢٨/٢)، ولسان العرب، لابن منظور(٥١١/٤).

وفي الاصطلاح: "هو التشاؤمُ من الشيء المرئيِّ أو المسموع"(١)

وقد كان العرب يتشاءمون بالطيور وغيرها.(٢)

يقول الإمام ابن حجر ﷺ: "وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك"(٣)

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة"(٤)

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: "من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك"(٥)

وعن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال لرسول الله ﷺ: ومنا رجال يتطيرون، قال: "ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم"(٦)

وقوله ﷺ: "الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك".(٧)

ووجه كون الطيرة شركًا في الربوبية أنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًّا، ومن صفات الربوبية وخصائصها انفراده ﷻ بالضر والنفع، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.(٨)

ج- التمائم:

هي: "جمع التميمة وَهِيَ خَرَزَات كَانَتِ الْعَرَبُ تُعلّقها عَلَى أَوْلَادِهِمْ يَتَّقُون بِهَا الْعَيْنَ

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١٥٢٣/٣).

(٢) انظر: بلوغ الأرب، للألوسي (٣٣١/٢-٣٣٩).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢١٢/١٠).

(٤) رواه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٥) رواه أحمد (٧١٦٦).

(٦) رواه مسلم (٥٣٧).

(٧) رواه أبو داود (٣٩١٠)، وأحمد (٤٢٧٩).

(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٥٢/٣)، وفتح المجيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن (٣١٣).

فِي زعْمهم"[١]

وقد كانت التمائم معروفة ومنتشرة في أهل الجاهلية.[٢]

وقد جاء الإسلام بالنهي عنها.

عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا. قال: "إن عليه تميمة" فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: "من علق تميمة فقد أشرك"[٣]

وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له"[٤]

وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك"[٥]

"وإنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه"[٦]، والنهي محمول على من علقها" معتقدًا أنها تجلب تجلب إليه نفعًا أو تدفع عنه ضرًّا"[٧].

والرقى المنهي عنها هي الرقى الشركية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا) فنهى عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالجن كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]؛ ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والإقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره التي تتضمن الشرك؛ بل نهوا عن كل

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٧/١).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٨٤/١٤-١٨٥)، وغريب الحديث، لابن الجوزي (١١٢/١)، وفتح الباري، لابن حجر (١٩٦/١٠)، وأحكام الرقى والتمائم، للدكتور فهد السحيمي (٢١٥-٢١٨).

(٣) رواه أحمد (١٧٦٩٤).

(٤) رواه أحمد (١٧٦٧٦).

(٥) رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦٨٥).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٨/١).

(٧) المصدر السابق (٢٨٩/٣).

ما لا يعرف معناه مـــن ذلـــك خشية أن يكون فيه شرك بخلاف ما كان من الرقى المشروعة فإنه جائز"[١]

وعن أبي بشير الأنصاري ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسول الله ﷺ رسولا: "لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت"[٢]

قال ابن حجر ﷺ: "أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسي لئلا تصيبها العين بزعمهم فأمروا بقطعها إعلاما بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئًا"[٣]

وعن رويفع بن ثابت قال: إن رسول الله ﷺ قال: "يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترًا أو استنجى برجيع دابة فإن محمدا بريء منه"[٤]

وعن الحسن قال أخبرني عمران بن حصين أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة، أراه قال: من صفر فقال: ويحك! ما هذه؟ قال من الواهنة قال: "أما إنها لا تزيدك إلا وهنا؛ انبذها عنك! فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا"[٥]

وهذه جملة من الأحاديث النبوية تدل على انتشار التمائم في الجاهلية، ومنع الإسلام وتحذيره منها، وإخباره ﷺ أنها من الشرك لمنافاتها التوحيد. وهي شرك في الربوبية لاعتقاد أنها تجلب نفعًا أو تدفع ضرًّا، وهذا من خصائص الربوبية التي ينفرد بها الله ﷻ..

د- التبرك الشركي:

التبرك لغة: طلب البركة، وهي: "الكثرة في كل ذي خير"[٦]

يقول ابن القيم: "حقيقة اللفظ أن البركة كثرة الخير ودوامه"[٧]

وهي: ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٣٦).

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٣) فتح الباري (١٤٢/٦).

(٤) رواه أبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٨٢)، وأحمد (١٧٢٦٩).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٢٠٣١٩)، وابن حبان (٦٠٨٥)، والحاكم (٧٥٩٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج(٥٧/٤).

(٧) بدائع الفوائد (٤٦١/٢).

قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة. والمبارك: ما فيه ذلك الخير،...ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يُحس، وعلى وجه لا يُحصى ولا يُحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة".(١)

يقول ابن القيم أن هذا اللفظ- التبرك- ذكره الله" فِي الْمَوَاضِع الَّتِي أثنى فِيهَا على نَفسه بالجلال وَالْعَظَمَة وَالْأَفْعَال الدَّالَّة على ربوبيته وإلهيته وحكمته وَسَائِر صِفَات كَمَاله من إِنْزَال الْفرْقَان وَخلق الْعَالمين وَجعله البروج فِي السَّمَاء وَالشَّمْس وَالْقَمَر وانفراده بِالْملكِ وكَمَال الْقُدْرَة"(٢)

والتبرك يكون شركا في الربوبية إذا اعتقد في المتبرَّك به أنه يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء استقلالًا، أو يُطلب منه الخير والنماء فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ.(٣) ﷻ.(٣)

وقد كان هذا التبرك موجودًا عند العرب في الجاهلية، فيقول هشام بن محمد الكلبي: "وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضًا، فلما بعث الله نبيه وأتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب يعنون الأصنام"(٤).

ويدل على بقائه بعد ظهور الإسلام حديث أبو واقد الليثي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، أجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: "الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم"(٥)

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (١/٨٣-٨٤).
(٢) جلاء الأفهام (٣٠٥).
(٣) انظر: المفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر صوفي (٢٣٥).
(٤) انظر: كتاب الأصنام، لهشام بن محمد الكلبي، ط. دار الكتب المصرية، ت: أحمد زكي باشا، باشا، ص٣٣.
(٥) رواه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢٢٣١٥)، وابن حبان (٦٧٠٢).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركا بهَا وتعظيمًا"(١)

يقول حامد الفقي: "ليس ما طلبوه من الشرك الأصغر، ولو كان منه لما جعله النبي نظير قول بني إسرائيل ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ وأقسم على ذلك، بل هو من الشرك الأكبر كما أن ما طلبه بنو إسرائيل من الأكبر".(٢)

٥-التشريع من دون الله والتحاكم إلى غيره :

الحكم والتشريع من خصائص الربوبية لله ﷻ المنفرد بها، فهو خالق الخلق ومالكهم، فلا مالك إلا هو سبحانه، فله الخلق والأمر، وتحكيم شرعه من الإيمان به ﷻ، ولا يتم الإيمان إلا بتحكيم شرعه والخضوع لأمره ﷻ.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [الأنعام: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ [الأنعام: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين: ٨]، وقوله تعالى ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله ﷻ: (إن الله هو الحكم وإليه الحكم).

فالله ﷻ هو المتفرد بالتشريع والحكم وحده، ومن ساوى بين الله وخلقه في التشريع والحكم فهو مشرك.

وقد وقع مشركو العرب في شرك التشريع من دون الله، يقول الله ﷻ عنهم: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾ [الأنعام: ١٣٨-١٣٩].

---

(١) فتح المجيد (١٣٧).

(٢) المصدر السابق، الحاشية (١٤٢).

يقول الامام ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآيات: "وهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُحَرِّمُونَ وَيُحَلِّلُونَ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَذِنَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْعَادِلُونَ بِرَبِّهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ جَهْلًا مِنْهُمْ، لِأَنْعَامٍ لَهُمْ وَحَرْثٍ: هَذِهِ أَنْعَامٌ، وَهَذَا حَرْثٌ حِجْرٌ، يَعْنِي بِالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ مَا كَانُوا جَعَلُوهُ لِلَّهِ وَلِآلِهَتِهِمُ الَّتِي قَدْ مَضَى ذِكْرُهَا فِي الْآيَةِ قَبْلَ هَذِهِ."(١)

ثم قال: "الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَحَرَّمَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ظُهُورَ بَعْضِ أَنْعَامِهِمْ، فَلَا يَرْكَبُونَ ظُهُورَهَا، وَهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِرَسْلِهَا وَنِتَاجِهَا، وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ مِنْهَا غَيْرِ ظُهُورِهَا لِلرُّكُوبِ. وَحَرَّمُوا مِنْ أَنْعَامِهِمْ أَنْعَامًا أُخَرَ، فَلَا يَحُجُّونَ عَلَيْهَا وَلَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ رَكِبُوهَا بِحَالٍ، وَلَا إِنْ حَلَبُوهَا وَلَا إِنْ حَمَلُوا عَلَيْهَا"(٢)

فهذه الآيات دالة على أن المشركين يشرعون من دون الله ﷻ، وعليه فمن اعتقد أن غير الله ﷻ له الأمر والنهي والتشريع فقد أشرك مع الله غيره في ربوبيته.

قال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

"ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحًا في آيات كثيرة.

فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦]، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: ﴿وَلَا تُشْرِكْ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ بصيغة النهي.

وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن

(١) تفسير الطبري (٩/٥٧٧).

(٢) المصدر السابق (٩/٥٨١).

شاء الله.

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه، كفر بواح لا نزاع فيه، وقد دل القرآن في آيات كثيرة، على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع تشريع غيره كفر به"(١).

ثم سرد الآيات الدالة على ذلك في مواضع مختلفة من القرآن، ثم قال:

"ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية، كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعًا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربًا، وأشركه مع الله.

والآيات الدالة على هذا كثيرة، وقد قدمناها مرارًا، وسنعيد منها ما فيه كفاية"(٢).

كما أخبر الله عزو جل في كتابه عن المشركين من أهل الكتاب أنهم شرعوا من دونه تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١].

يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية: "﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ وهم علماؤهم ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ أي: العُبَّاد المتجردين للعبادة.

﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يُحِلُّون لهم ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها"(٣)

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال:

أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك» قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط. عطاءات العلم، (٧/ ١٧٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط. عطاءات العلم، (٧/ ١٨٠).

(٣) تفسير السعدي (٣٣٤).

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم، فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» قال: قلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم».[١]

وعليه فاتخاذ المشركين من أهل الكتاب الأحبار والرهبان أربابا من دون الله شرك في الربوبية لأن الله ﷻ هو المنفرد وحده بالأمر والنهي والتشريع.

يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: "إن الحكم بما أنزل الله -تعالى- من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه؛ ولهذا سمى الله -تعالى- المتبوعين في غير ما أنزل الله -تعالى- أربابًا لمتبعيهم فقال -سبحانه-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾؛ فسمى الله -تعالى- المتبوعين أربابًا حيث جعلوا مشرعين مع الله -تعالى-، وسمى المتبعين عُبادًا حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله ﷻ..."[٢]

٦- خرق البنين والبنات لله بغير علم:

هذه الدعوى -خرق البنين والبنات لله بغير علم- تقاسمها اليهود والنصارى ومشركو العرب؛ فاليهود يقولون عزير ابن الله، والنصارى يقولون المسيح ابن الله، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله، ﷻ عما يقولون علوا كبيرا.

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

يقول ابن كثير في تفسيره: "﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يُنَبِّهُ بِهِ تَعَالَى عَلَى ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ فِي وَصْفِهِ تَعَالَى بِأَنَّ لَهُ وَلَدًا، كَمَا يَزْعُمُ مَنْ قَالَهُ مِنَ الْيَهُودِ فِي الْعُزَيْرِ، وَمَنْ قَالَ مِنَ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَكَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْمَلَائِكَةِ: إِنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين(٢/١٤٠).

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَخَرَقُواْ﴾ أَيْ: وَاخْتَلَقُوا وَائْتَفَكُوا، وَتَخَرَّصُوا وَكَذَّبُوا، كَمَا قَالَهُ عُلَمَاءُ السَّلَفِ..."[1]

وقد جاء النفي بأن يكون لله ولدا في مواضع عدة من القرآن تنزيها لجلال الله وكماله منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾ [مريم: ٨٨-٩٢]، وهذا القول في غاية الشناعة والكفر لأمور منها:

١-أن هذا إفك وافتراء عظيم، وقول على الله بلا علم:

يقول الله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ [يونس: ٦٨-٦٩] وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾ [الكهف: ٤-٥].

٢- أن فيه تنقصاً ومنافاة لأحديته وصمديته تعالى:

عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى:"كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ علي من إعادته، وأما شتمُه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كُفْئًا أحد"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾ [مريم: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ﴾ [مريم: ٣٥].

"وَاتِّخَاذُ الْوَلَدِ نَقْصٌ؛ لِاسْتِدْعَائِهِ مُحَالَيْنِ أَحَدُهُمَا: مُمَاثَلَتُهُ لِلْوَلَدِ وَتَمَامُ حَقِيقَتِهِ فَيَلْزَمُ

(١) تفسير ابن كثير(٣/٣٠٧).

(٢) رواه البخاري (٤٩٧٤).

إِمْكَانُهُ وَحُدُوثُهُ، وَثَانِيهِمَا: اسْتِخْلَافُهُ لِخَلَفٍ يَقُومُ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ؛ إِذِ الْغَرَضُ مِنَ التَّوَالُدِ بَقَاءُ النَّوْعِ فَيَلْزَمُ زَوَالُهُ وَفَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ"(١)

٣- أن اتخاذ الولد ينافي كمال غناه ﷻ:

يقول تعالى في كتابه: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس: ٦٨].

قال السعدي في تفسيره:

"يقول تعالى مخبرًا عن بهت المشركين لرب العالمين ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف: ٤]؛ فنزه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقائص إليه علوًا كبيرًا، ثم برهن على ذلك، بعدة براهين:

أحدها: قوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: الغِنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرَقة فيه، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنيًا من كل وجه، فلأي شيء يتخذ الولد؟

ألحاجة منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولدًا إلا لنقص في غناه.

البرهان الثاني: قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد مماليك.

ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقًا ولا مملوكًا. فملكيته لما في السماوات والأرض عمومًا، تنافي الولادة.

البرهان الثالث: قوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ [يونس: ٦٨] أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن لله ولدًا، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال:

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري (٩٥/١).

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨] فإن هذا من أعظم المحرمات".[١]

٤- أن نسبة الولد لله إلحاد في صفاته وقدح في ربوبيته:

لو كان لله ولد لكان الولد شبيهًا بأبيه، والله ﷻ ليس كمثله شيء ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥]، ولو كان له ولد لأخذ شيئًا من خصائص والده من الخلق والملك والتدبير، ولا شترك معه في ذلك، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢﴾ [الزخرف: ٨١-٨٢].

٥- إلحادهم في أسماء الله ﷻ:

معنى الإلحاد لغة هو: الميل والعُدول عَنِ الشَّيْءِ.[٢]

"والإلحاد في أسمائه هو: العدولُ بها وبحقائقه ومعانيها عن الحقِّ الثابتِ لها"[٣]

ومن الإلحاد في أسمائه الذي وقع فيه مشركي العرب أنهم كانوا ينكرون اسم الله الرحمن، كما أخبر الله ﷻ عنهم في كتابه، يقول تعالى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ٦٠﴾ [الفرقان: ٦٠].

وروى البخاري في قصة صلح الحديبية أن النبي ﷺ عن المسور بن مخرمة ومروان: "فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو"[٤].

وقد كان بعض المشركين يقر باسم الله الرحمن، كما في قول بعضهم: "وما يشأ

---

(١) تفسير السعدي (٣٦٩).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٣٦/٤).

(٣) بدائع الفوائد (٢٩٧/١).

(٤) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

الرحمن يعقد ويطلق"[١]

وكذلك ألحدوا في أسمائه حينما اشتقوا أسماء آلهتهم الباطلة من أسمائه تعالى كاللات والعزى ومناة.

يقول الإمام ابن القيم في بيانه لأنواع الالحاد في أسماء الله ﷻ: "فالإلحاد في أسمائه ﷻ أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعُزَّى من العزيز. وتسميتهم الصنمَ إلهًا، وهذا إلحاد حقيقةً فإنهم عَدَلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له: أبًا، وتسمية الفلاسفة له: موجبًا بذاته، أو عِلَّة فاعلةً بالطبع، ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائض، كقول أخبث اليهود: إنه فقير.

وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه.

وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته...

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية. وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمَّن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم: السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياةَ له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغة وفِطْرَة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما مُلْحِد في أسمائه.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علوًّا كبيرًا"[٢]

وقد حرم الله ﷻ الإلحاد في أسمائه يقول اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/١٣١).

(٢) بدائع الفوائد (١/٢٩٨-٢٩٩).

بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وجاء في معنى يلحدون: يشركون[١]

يقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية:

"أي يَميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسمّوه تعالى بما لا توقيفَ فيه أو بما يوهم معنى فاسدًا كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيضَ الوجه يا بخي ونحوُ ذلك... وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائِه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرِف سوى رحمانِ اليمامة... وإما بأن يُطلقوها على غيره تعالى كما سمَّوا أصنامَهم آلهة، وإما بأن يشتقوا من بعضها أسماءَ أصنامِهم كما اشتقوا اللاتَ من الله تعالى والعُزّى من العزيز... "[٢]

٦- اعتقادهم الشفاعة الشركية في آلهتهم:

الشفاعة في اللغة: يقول ابن فارس: "الشين والفاء والعين، أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك الشفع خلاف الوتر، تقول: كان فردا فشفعته... وشفع فلان لفلان، إذا جاء ثانيه ملتمسًا مطلبه ومعينًا له"[٣]

وشرعًا: "الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية أو خلاصة من مضرة ما"[٤]

من صور إشراك العرب في الربوبية اعتقادهم أن آلهتهم تملك لهم الشفاعة من دون الله، فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والملائكة والأنبياء لكي تشفع لهم عند الله وتقربهم زلفى لديه، كما كان حال أهل الطائف الذين عبدوا اللات، وأهل مكة الذين عبدوا العزى وغيرها، ولسان حالهم يقول هؤلاء شفعاؤنا عند الله[٥]

يقول محمود شكري الآلوسي: "وكانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى، والتقرب إليه، ولكن بطرق مختلفة.

فرقة قالت: ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة؛ لعظمته فعبدناها لتقربنا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٩٨/١٠)، وتفسير ابن كثير (٥١٦/٣).

(٢) تفسير أبي السعود (٢٩٦/٣).

(٣) مقاييس اللغة (٢٠١/٣).

(٤) تفسير أبي السعود (٢١٠/٢).

(٥) انظر: الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام (٥٥).

إليه... وفرقة قالت: الملائكة ذوو جاه ومنزلة عند الله، فاتخذنا أصنامًا على هيئة الملائكة ليقربونا إلى الله. وفرقة قالت: جعلنا الأصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى كما أن الكعبة قبلة في عبادته. وفرقة اعتقدت: إن على كل صنم شيطانًا موكلًا بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله، وإلا أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله...."(١)

واتخاذ الشفعاء من دون الله هضم لحق الربوبية، وتنقص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، وقد بين الله ﷻ في كتابه هذه الشفاعة التي أثبتها المشركون في آلهتهم وأخبر أنها شرك وأبطلها ذاما لهم ولفعلهم.(٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣].

قال ابن كثير في تفسيره: "ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عُبَّاد الْأَصْنَامِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَصْنَامٍ اتَّخَذُوهَا عَلَى صُوَرِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي زَعْمِهِمْ، فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّوَرَ تَنْزِيلًا لِذَلِكَ مَنْزِلَةَ عِبَادَتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عند الله في نصرِهِمْ ورِزْقِهِمْ، وَمَا يَنُوبُهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا،...

قَالَ قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَابْنِ زَيْدٍ: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أَيْ: لِيَشْفَعُوا لَنَا، وَيُقَرِّبُونَا عِنْدَهُ مَنْزِلَةً.

... وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْمُشْرِكُونَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ، وَجَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، بِرَدِّهَا وَالنَّهْيِ عَنْهَا، وَالدَّعْوَةِ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ هَذَا شَيْءٌ اخْتَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، لَمْ

---

(١) بلوغ الأرب (٢/١٩٧-١٩٨).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٣٧).

يَأْذَنِ اللَّهُ فِيهِ وَلَا رَضِيَ بِهِ، بَلْ أَبْغَضَهُ وَنَهَى عَنْهُ".(١)

وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢].

يقول الإمام ابن القيم موضحًا بطلان شفاعة معبودات المشركين: "قَطَعَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ جَمِيعًا، قَطْعًا يَعْلَمُ مَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَرَفَهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا، أَوْ شَفِيعًا، فَهُوَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فَالْمُشْرِكُ إِنَّمَا يَتَّخِذُ مَعْبُودَهُ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَالنَّفْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ إِمَّا مَالِكٌ لِمَا يُرِيدُهُ عِبَادُهُ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا كَانَ شَرِيكًا لِلْمَالِكِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِيكًا لَهُ كَانَ مُعِينًا لَهُ وَظَهِيرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعِينًا وَلَا ظَهِيرًا كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ.

فَنَفَى سُبْحَانَهُ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ نَفْيًا مُتَرَتِّبًا، مُتَنَقِّلًا مِنَ الْأَعْلَى إِلَى مَا دُونَهُ، فَنَفَى الْمِلْكَ، وَالشِّرْكَةَ، وَالْمُظَاهَرَةَ، وَالشَّفَاعَةَ، الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُ، وَأَثْبَتَ شَفَاعَةً لَا نَصِيبَ فِيهَا لِمُشْرِكٍ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ بِإِذْنِهِ".(٢)

وقال أيضا: "لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَلَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ، وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ".(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/٨٤-٨٥).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٥١).

(٣) المصدر السابق (١/٣٥٠).

المطلب الثالث

إقرار المشركين بجملة معاني الربوبية لا ينفع إلا بالإقرار بسائر معاني الربوبية، مع الإقرار بتوحيد الألوهية أيضاً

لقد تقدم بيان أن المشركين أقروا بأصل معاني الربوبية من الخلق والملك والتدبير، وهذا ثابت عنهم كما دلت عليه أدلة القرآن والسنة، وأيضا كلامهم وأشعارهم، وكما نص علماء السلف على إقرار المشركين بجملة من معاني الربوبية. لكن هذا الإقرار لم يكن على وجه التمام والكمال ففيه انحراف وقصور كما بينا في المطلب السابق فقد وقع منهم إنكار للرسل والبعث والقدر وادعاء علم الغيب والتأثير في الكون لبعض المخلوقات واتخاذ الشفعاء من دون الله وغيرها، وهذا كله نقص وانحراف في توحيد الربوبية، ولو كان إيمانهم بالربوبية كاملًا لآمنوا بالألوهية وأقروا بها لشدة التلازم بينهما.

وللإمام محمد بن عبد الوهاب كلمة عظيمة في هذا الشأن يقول: "فأما توحيد الربوبية فهو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه"(١)

وهذا يدل على أهمية توحيد الربوبية وأنه الدليل على توحيد الألوهية، فإقرار المشركين بأصل توحيد الربوبية جعلهم ينحرفون في توحيد الألوهية، وإلا لو آمنوا بجميع معاني الربوبية لآمنوا بالألوهية بلا شك.

وعليه فلا ينفع ولا يتم إيمانهم بالربوبية، بل ولا يدخلهم ذلك في الإسلام؛ حتى يقروا ويعترفوا بجميع معاني الربوبية ويقروا كذلك بتوحيد الألوهية لشدة التلازم بينهما.

قال الإمام ابن القيم: "فَيَثْبُتُ قَدَمُ الْعَبْدِ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، ثُمَّ يَرْقَى مِنْهُ صَاعِدًا إِلَى تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَيَقَّنَ أَنَّ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ، وَالْعَطَاءَ وَالْمَنْعَ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَ، وَالسَّعَادَةَ وَالشَّقَاءَ كُلُّ ذَلِكَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ، وَيُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَأَنَّهُ لَا مُوَفِّقَ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ وَأَعَانَهُ، وَلَا مَخْذُولَ إِلَّا مَنْ خَذَلَهُ وَأَهَانَهُ وَتَخَلَّى عَنْهُ، وَأَنَّ أَصَحَّ الْقُلُوبِ وَأَسْلَمَهَا وَأَقْوَمَهَا، وَأَرَقَّهَا وَأَصْفَاهَا، وَأَشَدَّهَا وَأَلْيَنَهَا مَنِ اتَّخَذَهُ وَحْدَهُ إِلَهًا وَمَعْبُودًا، فَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَخْوَفَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَرْجَى

(١) الرسائل الشخصية، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢١).

لَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَتَتَقَدَّمُ مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِهِ جَمِيعَ الْمَحَابِّ، فَتَنْسَاقُ الْمَحَابُّ تَبَعًا لَهَا كَمَا يَنْسَاقُ الْجَيْشُ تَبَعًا لِلسُّلْطَانِ، وَيَتَقَدَّمُ خَوْفُهُ فِي قَلْبِهِ جَمِيعَ الْمُخَوِّفَاتِ، فَتَنْسَاقُ الْمَخَاوِفُ كُلُّهَا تَبَعًا لِخَوْفِهِ، وَيَتَقَدَّمُ رَجَاؤُهُ فِي قَلْبِهِ جَمِيعَ الرَّجَاءِ، فَيَنْسَاقُ كُلُّ رَجَاءٍ تَبَعًا لِرَجَائِهِ.

فَهَذَا عَلَامَةُ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ فِي هَذَا الْقَلْبِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْهُ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، أَيْ بَابُ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، ثُمَّ يَرْتَقِي إِلَى تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا يَدْعُو اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَى النَّوْعِ الْآخَرِ، وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَيُقَرِّرُهُمْ بِهِ، ثُمَّ يُخْبِرُ أَنَّهُمْ يَنْقُضُونَهُ بِشِرْكِهِمْ بِهِ فِي الْإِلَهِيَّةِ."[١]

وإقرار المشركين بأصل توحيد الربوبية لم يفدهم شيئا، ولم يَزُل عنهم اسم الشرك، ولم تُعصَم أموالهم، ولا دماؤهم، ولا أعراضهم، حتى يلتزموا بلازم ما أقروا واعترفوا به وهو توحيد الألوهية والعبادة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق وقرره أهل الكلام فلا يكفي وحده، بل هو من الحجة عليهم"[٢]

ويقول الإمام الصنعاني: "الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد، من اتخاذ الأنداد فلا يتخذون له ندًّا ولا يدعون معه أحدًا ولا يتوكلون إلا عليه، ولا يفزعون في كل حال إلا إليه، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى، ولا يتوصلون إليه بالشفعاء.."[٣]

---

(١) مدارج السالكين (١/٤١٢-٤١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٣).

(٣) تطهير الاعتقاد (٢٢).

الخاتمة

تشمل علي أبرز نتائج البحث :

النتائج :

من معاني الرب في اللغة والشرع هو المالك والسيد والمدبر والمربي والمنعم والمصلح.

من معاني توحيد الربوبية إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

- العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة تلازم وتضمن، فالربوبية تستلزم الألوهية، والألوهية تتضمن الربوبية.
- توحيد الربوبية ليس هو الغاية في التوحيد، ولا يكفي وحده في حصول الإسلام.
- الله أخبر في كتابه عن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق المالك المدبر
- دل على إثباتهم للربوبية أقوالهم وأشعارهم
- إقرارهم بتوحيد الربوبية كان مجملا وليس مفصلا بكل معاني الربوبية.
- لديهم انحراف وقصور في توحيد الربوبية وذلك أنهم أنكروا الرسل والبعث والقدر واعتقدوا التأثير في الكون لغير الله وجعلوا وسائط بينهم وبين الله
- ما أقروا به في الربوبية كاف في إلزامهم بتوحيد الإلهية والعبادة
- إقرارهم بجملة معاني الربوبية لا يكفي في الإيمان حتى يقروا بجميع معاني الربوبية، ويقروا بتوحيد الألوهية أيضا.

التوصيات:

- دراسة توحيد الربوبية دراسة وافية، ومعرفة تفاصيل معانيه، وعلاقتها بتوحيد الألوهية.
- العمل على إبراز آثار توحيد الربوبية لدى عموم المسلمين، وتوجيههم إلى التعلق بالله وأسمائه وصفاته، ومشاهدة الآيات الكونية الدالة على تمام ربوبية الله وتدبيره للكون.
- دراسة أحوال العرب قبل الإسلام، واعتقاداتهم، وديانـاتهم التي كانت موجودة

آنذاك؛ حتى يُتصور ما كانوا عليه تصورًا صحيحًا.

- معرفة السياق القرآني في بيان صور الشرك التي ذُكرت في المشركين قبل البعثة، والإلمام بأقوال السلف في معانيها ومناطاتها.
- دراسة الانحرافات العقدية المعاصرة في جانب الربوبية، والعمل على بيان وجوه فسادها، وتحذير عموم المسلمين من اعتقادها.

المصادر والمراجع

١- أحكام الرقى والتمائم، للدكتور، فهد السحيمي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩-١٩٩٨

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٣- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

٤- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى ابن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ

٥- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٦- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

٧- بَدَائِعُ الفوَائِدِ، أَبو عَبْدِ اللَّهِ محمد بنِ أبي بكر بْنِ أَيُّوب ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّةِ (٦٩١ - ٧٥١)، المحقق: علي بن محمّد العمران (إشراف: بكر بن عَبدِ اللَّهِ أَبُو زَيْد)، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ

٨- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لمحمود شكري الألوسي، الطبعة الثانية،

٩- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار

المعرفة، بيروت، لبنان

١٠- تجريد التوحيد المفيد، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

١١- التدمرية - تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

١٢- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للشيخ محمد إسماعيل الصنعاني، اعتنى به: محمد جبريل الشحري، مكتبة الإمام الوادعي، اليمن، صعدة، الطبعة الأولى ١٤٣٠-٢٠٠٩

١٣- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٤- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٥- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١٦- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، للدكتور عبد المجيد المشعبي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩

١٧- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

١٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٢٠- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧

٢١- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد،الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

٢٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٢٤- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م

٢٥- الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، محمد بن صالح العيلقي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: بدون

٢٦- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م،

٢٧- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٨- شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ)، الناشر: دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

٢٩- الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام، للدكتور: يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت.

٣٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٣١- العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

٣٢- غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥

٣٣- غريب القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: سعيد اللحام

٣٤- فتاوى أركان الإسلام، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ

٣٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب

٣٦- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م

٣٧- القول السديد في الرد على من أنكرتقسيم التوحيد، للدكتور عبدالرزاق البدر، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣

٣٨- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ

٣٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٤٠- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

٤١- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة-١٤١٣هـ.

٤٢- المحاسن والمساوىء، للشيخ إبراهيم البيهقي، دار صادر، بيروت،
٤٣- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، أبو محمد عبد العزيز ابن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
٤٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
٤٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
٤٦- المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد، للدكتور سلطان العميري، دار مدرج، الدمام، الطبعة الأولى١٤٤٣
٤٧- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٤٨- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، (٢٨٨ هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م
٤٩- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٥٠- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥١- معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيه، للدكتور محمد الجهني.
٥٢- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن

الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ

٥٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ – ٧٥١ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (وفق المنهج المعتمد من بكر بن عبد الله أبو زيد – رحمه الله –)، راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإِصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ

٥٤- مفردات ألفاظ القرآن ــ نسخة محققة، المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر / دار القلم ــ دمشق

٥٥- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

٥٦- المفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر عطا صوفي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨، ٢٠٠٧

٥٧- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي

٥٨- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

٥٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد

الزاوى – محمود محمد الطناحي

٦١- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧٢٥
التمهيد: التعريف بكلة الرب ، وتوحيد الربوبية ، وآثار الإيمان الربوبية ، والعلاقة بينه وبين توحيد الألوهية.	٧٣٠
المبحث الأول: في معاني الربوبية التي تضمنتها آيات سورة يونس ، وفيه ثلاثة مطالب:	٧٣٥
المطلب الأول: النوع الأول: معاني تدبير الكون والقيام على شئون الخلق، وشواهد ذلك من القرآن.	٧٣٥
المطلب الثاني: النوع الثاني: معنى إعادة الخلق، وشواهد ذلك من القرآن.	٧٤٥
المطلب الثالث: النوع الثالث: معنى الهداية وتعلقه بحق السيادة والتشريع، وشواهد ذلك من القرآن.	٧٧١
الخاتمة: وفيها خلاصة نتائج الدراسة، والتوصيات.	٧٧٣
المصادر والمراجع	٧٧٥
فهرس الموضوعات	٧٨٣

❖